

الرَّسَالَةُ ٨٣

الشَّرِيعَةُ وَالنِّعْمَةُ

(Arabic - By the law or by grace)

أحباءى.. حديثنا اليومَ مَوْضُوعُهُ: الشَّرِيعَةُ وَالنِّعْمَةُ

ومن إنجيل يوحنا الأصحاح الأول نقرأ العدد السابع عشر:

"لأنَّ الشَّرِيعَةَ بِمُوسَى أُعْطِيَتْ أَمَّا النِّعْمَةُ وَالْحَقُّ فَبِيَسُوعَ الْمَسِيحِ صَارَا".^١

إنَّ الله يُحِبُّ الْإِنْسَانَ فَقَدْ خَلَقَهُ عَلَى صُورَتِهِ.. خَلَقَ اللهُ آدَمَ وَحَوَاءَ وَجَهَّزَ لَهُمَا جَنَّةَ عَدْنِ وَكَانَا يَسْتَمْتَعَانِ بِقُرْبِ دَائِمٍ مِنَ اللهِ.. وَلَكِنَّهُمَا خَالَفَا وَصِيَّةَ أُعْطِيَتْ لَهُمَا مِنَ اللهِ وَكَانَتْ النَّتِيجَةُ خُرُوجَهُمَا مِنَ الْجَنَّةِ.. فَلَنْ تَسْتَقِيمَ الْحَيَاةَ مَعَ اللهِ كَلَى الْقِدَاسَةِ بِدُونِ طَاعَةِ الْمَخْلُوقِ لِخَالِقِهِ.. لَقَدْ شَوَّهَتْ الْخَطِيئَةُ أَرْوَعَ صُورَةَ أَدْعَاهَا اللهُ فِي خَلْقِهِ لِآدَمَ وَحَوَاءَ.. وَاسْتَوْجِبَ عَدْلُ اللهِ عِقَابَ آدَمَ وَحَوَاءَ بِحَرَمَانَهُمَا مِنْ أَجْمَلِ شَرِكَةٍ مَعَ اللهِ وَقُرْبِهِمَا مِنْهُ.

لَا جِدَالَ فِي أَنَّ اللهُ يَكْرَهُ الْخَطِيئَةَ وَيَدِينُهَا.. وَلَكِنَّهُ يُحِبُّ الْإِنْسَانَ بِغَضِّ النَّظَرِ عَنْ كُلِّ اعْتِبَارٍ آخَرَ.. وَكَانَ تَدْبِيرُ اللهِ مِنْذُ الْأَزَلِ بِسَابِقِ عِلْمِهِ أَلَّا يَتْرَكَ آدَمَ وَنَسْلَهُ تَحْتَ الْعِقَابِ إِلَى الْأَبَدِ.. لِأَنَّ اللهُ الْقَدُوسَ الْعَادِلَ هُوَ اللهُ الْمُحِبُّ الرَّحِيمُ وَتَمَثَّلَتْ مَحَبَّتُهُ وَرَحْمَتُهُ فِي قَبُولِ ذَبَائِحِ بَقْدَمِهَا آدَمَ وَنَسْلَهُ لِلتَّكْفِيرِ عَنْ خَطَايَاهُمْ.. وَهَذِهِ كَانَتْ تَدْبِيرًا مِنْ وَضْعِ اللهِ وَليست مِنْ وَضْعِ بَشَرٍ لِلتَّقَرُّبِ إِلَى اللهِ وَلِمَغْفَرَةِ خَطَايَاهُمْ.. فَبِدُونِ سَفْكِ دَمٍ لَا تَحْصُلُ مَغْفَرَةٌ.. عَرَفَ نَسْلُ آدَمَ وَحَوَاءَ التَّكْفِيرَ عَنْ خَطَايَاهُمْ بِسَفْكِ دَمِ الذَّبَائِحِ.. فَقَدْ تَوَارَثُوها عَنْ آدَمَ وَحَوَاءَ مِنْذُ خُرُوجِهِمَا مِنْ جَنَّةِ عَدْنِ.

وَيُسَجَّلُ سَفَرُ الْخُرُوجِ ظَهُورَ مَلَاكِ الرَّبِّ لِمُوسَى بِلَهْيِبِ نَارٍ مِنْ وَسْطِ عُلَيْقَةٍ فِي الْبَرِّيَّةِ عِنْدَ جَبَلِ حُورَيْبٍ.. فَلَقَدْ رَسَمَ اللهُ خُطَّةَ لِفِدَاءِ الْأَبْكَارِ مِنْ شَعْبِهِ وَخِلَاصِهِمْ مِنْ عِبُودِيَّةِ فِرْعَوْنَ مِصْرَ وَقَتَذَاكَ.. ذَلِكَ بَأَنَّ تَرَشَّ الْعَتَبَةِ الْعُلْيَا وَالْقَائِمَتَانِ لِكُلِّ بَيْتٍ مِنْ بِيُوتِ شَعْبِ اللهِ فِي مِصْرَ بِدَمِ ذَبِيحَةٍ.. وَيُلَاحِظُ أَنَّهُمْ كَانُوا دَاخِلَ بِيُوتِهِمْ تِلْكَ اللَّيْلَةَ وَكَانَ الدَّمُ ظَاهِرًا خَارِجَهَا لِيرَأَهُ الْمَلَاكُ الْمُهْلِكُ فَيَعْبُرُ عَنْهُمْ.. وَفِي الْبَرِّيَّةِ أُعْطِيَ اللهُ الشَّرِيعَةَ لِمُوسَى لِيَتَبَرَّرَ الْإِنْسَانُ بِهَا أَمَامَ اللهِ لَوْ حَفَظَهَا.

مَا اسْتَطَاعَ أَحَدٌ أَنْ يَتَبَرَّرَ بِالشَّرِيعَةِ الَّتِي شَمَلَتْ عَشْرَ وَصَايَا فَلَقَدْ أَخْطَأَ الْجَمِيعُ.. حَتَّى جَاءَ ابْنُ اللهِ الرَّبِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ لِيَصْنَعَ بَرًّا عَجَزَ دُونَهُ الْبَشَرُ قَاطِبَةً.. فَلَمْ تَكُنْ الذَّبَائِحُ الَّتِي نَصَّتْ عَلَيْهَا شَّرِيعَةُ مُوسَى إِلَّا رَمَزًا لِذَبِيحَةِ فِدَاءٍ حَقِيقِيَّةٍ أَبْطَلَتْ ذَبَائِحَ الْعَهْدِ الْقَدِيمِ.. وَذَلِكَ كَانَ بِمَجِيءِ الْفَادَى ابْنِ اللهِ مُتَجَسِّدًا.. وَلَقَدْ أَشَارَ يُوْحَنَّا الْمَعْمَدَانِ إِلَى الْمَسِيحِ كِفَادَى بِقَوْلِهِ: "هُوَذَا حَمَلُ اللهِ الَّذِي يَرْفَعُ خَطِيئَةَ الْعَالَمِ".. وَأَشَارَ إِلَيْهِ بُولَسُ الرَّسُولُ بِقَوْلِهِ: "الَّذِي إِذْ كَانَ فِي صُورَةِ اللهِ لَمْ يَحْسِبْ خِلْسَةً أَنْ يَكُونَ مُعَادِلًا لِهَيْئَةِ اللهِ.. لَكِنَّهُ أَخْلَى نَفْسَهُ أَخْذًا صُورَةَ عَبْدٍ صَائِرًا فِي شَبْهِ النَّاسِ.. وَإِذْ وُجِدَ فِي الْهَيْئَةِ كِإِنْسَانٍ وَضَعَ نَفْسَهُ وَأَطَاعَ حَتَّى الْمَوْتِ مَوْتِ الصَّلِيبِ".^٢

كَانَ ابْنُ اللهِ وَهُوَ غَيْرُ الْمَحْدُودِ فَذِيَّةَ كِفَارِيَّةٍ عَلَى الصَّلِيبِ.. أَرْضَتْ قَدَاسَةَ وَعَدْلَ اللهِ. وَمَا تَمَّ عَلَى الصَّلِيبِ كَانَ كَفِيْلًا بِرَحْمَةٍ غَيْرِ مَحْدُودَةٍ لِعَدَدٍ غَيْرِ مَحْدُودٍ مِنَ الْبَشَرِيَّةِ.. كَتَبَ يُوْحَنَّا الْبَشِيرُ: "هَكَذَا أَحَبَّ اللهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ لِكَى لَا يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ بَلْ تَكُونَ لَهُ الْحَيَاةُ الْأَبَدِيَّةُ".. قَدْ يَسْأَلُ سَائِلٌ: فَمَا الْحَالُ بِقَوْمٍ لَيْسَ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ الْمَكْتُوبُ؟. كَيْفَ يَتَعَرَّفُونَ عَلَى اللهِ وَلَمْ يَسْمَعُوا أَوْ يَفْرَأُوا عَنْهُ؟. الْإِجَابَةُ: نَعْرِفُهَا مِمَّا سَجَلَهُ الْوَحْيُ بِرِسَالَةِ بُولَسِ الرَّسُولِ إِلَى مُؤْمِنِي رُومِيَّةٍ عَنْ هَوْلَاءِ بِقَوْلِهِ: "إِذْ مَعْرِفَةُ اللهِ ظَاهِرَةٌ فِيهِمْ لِأَنَّ اللهُ أَظْهَرَهَا لَهُمْ.. لِأَنَّ أُمُورَهُ غَيْرَ الْمَنْظُورَةَ تَرَى مِنْذُ خَلْقِ الْعَالَمِ مُدْرَكَةً بِالْمَصْنُوعَاتِ قُدْرَتَهُ السَّرْمَدِيَّةَ وَلاهُوتَهُ حَتَّى أَنَّهُمْ بَلَا عِذْرًا".^٣

^١ إنجيل يوحنا ١٧: ١ ، سفر التكوين ١: ٢٧ ، الرسالة إلى العبرانيين ٩: ٢٢ ، استمع إلى الإنجيل

^٢ سفر الخروج ٣: ١٠ & ١٢: ٧ ، رسالة بولس الرسول إلى مؤمنى رومية ٣: ١٢ ، إلى مؤمنى فيلبى ٢: ٦-٨

^٣ إنجيل يوحنا ٣: ١٦-١٧ ، رسالة بولس الرسول إلى مؤمنى رومية ١: ١٩-٢٠

لقد أعطى الله لموسى الشريعة ليطبقها الشعب القديم ولتبرر الإنسان لو عمل بها.. ولكن لا يعنى هذا أن الشعب المختار بامتلاكه الشريعة يتبرر.. كتب بولس الرسول إلى مؤمنى رومية يقول: "لأن ليس الذين يسمعون الشريعة هم أبرار عند الله بل الذين يعملون بالشريعة هم يبررون.. لأنه الأمم الذين ليس عندهم الشريعة متى فعلوا بالطبيعة ما هو فى الشريعة فهؤلاء إذ ليس لهم الشريعة هم شريعة لأنفسهم..الذين يظهرون عمل الشريعة مكتوباً فى قلوبهم شاهداً أيضاً ضميرهم وأفكارهم فيما بينها مشتكية أو محتجة فى اليوم الذى فيه يدين الله سرائر الناس حسب إنجيلى بيسوع المسيح". ولكن هل نجح الضمير فى تبرير الإنسان الذى لا يمتلك الشريعة؟.

إن الذين ليس بين أيديهم المكتوب: "لأنهم لما عرفوا الله لم يمجده أو يشكروه كإله بل حمقوا فى أفكارهم وأظلم قلوبهم الغيبى.. وبينما هم يزعمون أنهم حكماء صاروا جهلاء.. استبدلوا حق الله بالكذب واتقوا وعبدوا المخلوق دون الخالق الذى هو مبارك إلى الأبد أمين.. كما لم يستحسنوا أن يقبوا الله فى معرفتهم أسلمهم الله إلى ذهن مرفوض ليفعلوا ما لا يليق.. وأبدلوا مجد الله الذى لا يفنى بشبه صورة الإنسان الذى يفنى والطيور والدواب والزحافات".. وقد نتساءل: إذا كان الإنسان أخفق فى الوصول إلى البر سواء بضميره أو بالشريعة.. فما السبيل إلى البر الذى يرضى قداسة الله وعدله آخذين فى الاعتبار أن الله يحب الإنسان الذى خلقه على صورته. الإجابة: نعمة الله. أى عطية الله المجانية. بر الله الذى بلا تَمَن. بر الله الذى بالإيمان.¹

لقد كتب يوحنا البشير يقول: "الشريعة بموسى أعطيت أما النعمة والحق فييسوع المسيح صاراً.. لماذا وضعت الشريعة مقابل النعمة فى الآية المذكورة؟.. الإجابة: لقد فشل الإنسان فى الوصول إلى البر بالشريعة.. لذلك كان تدبير الله العجيب أنه بنعمته المتفاضلة يستطيع الحصول على البر كنعمة.. لأن الشريعة تستلزم عملاً يبذله الإنسان.. أما النعمة فتستلزم عملاً يقوم به واهب النعمة ويشبع قلب الأب السماوى وقد أتمه الرب يسوع على الصليب.. وليس على الإنسان فى عهد النعمة إلا أن يقبل نعمة الله المجانية بالإيمان بآب الله واهب تلك النعمة المجانية.. "ابن الله الذى هو بهاء مجد الله ورسم جوهره وحامل كل الأشياء بكلمة قدرته".²

بالنعمة نتبرر.. وبالنعمة نحصل على بنوية الله. وبالنعمة نحصل على الحياة الأبدية.. والمؤمن الحقيقى الذى نال تبريراً بالنعمة نال قلباً جديداً يسكن فيه روح الله الذى يرشده إلى الطريق الحق ليسلكها دون تعثر ويحفظه من الزلل.. قال يوحنا الحبيب: "يا أولادى أكتب إليكم هذا لكي لا تخطئوا.. وإن أخطأ أحد فلنا شفيع عند الأب يسوع المسيح البار.. وهو كفارة لخطايانا.. ليس لخطايانا فقط بل لخطايا كل العالم أيضاً.. إن قلنا إننا ليس لنا خطية نضل أنفسنا وليس الحق فينا.. إن اعترفنا بخطايانا فهو أمين وعادل حتى يغفر لنا خطايانا ويظهرنا من كل إثم".. ومن كلمة الله نعرف أن الإيمان نوعان: الأول: هو الإيمان الحى العامل.. والآخر: هو الإيمان الميت غير العامل.. وهو إيمان الشياطين غير المثمر.. "فالشياطين يؤمنون ويقشعون".³

أحياناً يدعى بعضهم قائلًا: إننا مؤمنون.. ولكن لن يكونوا صادقين إلا إذا كان إيمانهم عاملاً بالمحبة.. يقول يعقوب فى رسالته: "قد يقول قائل: أنت لك إيمان وأنا لى أعمال أرني إيمانك بدون أعمالك وأنا أريك بأعمالي إيماني".. فلا بُد للإيمان أن يتجسد فى أعمال.. لا بُد للإيمان أن تترجمه الأعمال إلى لغة يفهمها العالم. فيتمجد اسم الله. وخلصه القول: إن الأعمال المقبولة لدى الله هى ثمار الخلاص. والخلاص بالنعمة. والنعمة بالإيمان. والإيمان يستند على عمل المسيح على الصليب لغفران الخطايا ونوال الحياة الأبدية.

لبيتنا نشكر الله على نعمة خلاصه المجانية فى المسيح يسوع.. أدعوك أختى أن تشتركي معي فى تلك الصلاة.. أبانا السماوى: أشكرك لمحبتك ونعمتك المتفاضلة التى خلصتني من خطاياى. إيماني أعلنه أنه بدم الصليب نلت فداءً وبراً وسلاماً.. أشكرك إلهي من أجل عطية الحياة الأبدية فى المسيح يسوع. حاجتى إليك فأعنتى سيدى.. أرفع صلاتي فى اسم يسوع البار واتقنا من استجابتك.. يا من قلت: من يقبل إلى لا أخرجهُ خارجاً.

أختى القارئ العزيز.. إن أردت سماع تلك الرسالة أو غيرها ستجد ذلك فى:

<http://www.muhammadanism.org/Media/Audio/BetterLife/Default.htm>

¹ رسالة بولس الرسول إلى مؤمنى رومية ٢: ١٣-١٦ & ١: ٢١-٢٣ & ٣: ٢١-٣١

² رسالة بولس الرسول إلى مؤمنى أفسس ٢: ٨-١٠ ، إنجيل يوحنا ١: ١٨-١٨ ، الرسالة إلى العبرانيين ١: ٣-١

³ رسالة يوحنا الرسول الأولى ١: ٨-٩ & ٢: ١ ، رسالة يعقوب ٢: ١٤-٢٠ ، إنجيل متى ٥: ١٦